دور الأدب الإسلامي المعاصر في الوحدة الإسلامية

د. عبد القدوس أبو صالح

- **لماذا تحوّل الأدب سلاحاً لإفساد الأجيال وإشاعة الانحلال؟!**
- **واكب الأدب الإسلامي الأحداث وساهم في فضح مخططات الاستعمار**
- **التصور الإسلامي يقف خلف المضامين الإبداعية للأدباء الإسلاميين**
- **الوحدة الإسلامية التي تتلاقى فيها الأرواح تجمع شمل الشرق بما فيه من عرب وعجم**
- **المضمون الإسلامي في الوحدة المرتقبة يرسّخ بنيانها ويسمو به**

يهدف هذا البحث إلى إظهار دور الأدب الإسلامي المعاصر في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، سواء في الدعوة السابقة إلى ما سمي بالجامعة الإسلامية، أو فيما تلاها من دعوات مماثلة من بعد سقوط الخلافة العثمانية إلى هذا اليوم. ومن ثم يهدف إظهار هذا الدور إلى توضيح ما ينبغي للأدب الإسلامي أن يقوم به، أو يستمر في أدائه، حين ينطلق أدباء الإسلام من تعريف واحد للأدب، مبنيَ على تصور إسلامي صحيح، وحين يصدُرون في سائر الفنون الأدبية عن منهج إسلامي لهذه الفنون، ليعبروا عن آلام الأمة الإسلامية وآمالها، وليصوغوا وجدان الأجيال صياغة إيمانية متكاملة، وليرفعوا مستوى الأمة إلى معركة المصير.

وليس

ينكر أحد تأثير الأدب في الحياة العامة للأمة، ولا دوره في قضاياها المصيرية . . . فها هي ذي أمة الإسلام في نشأتها الأولى، تقيم وحدتها، وترسم مسيرتها، على هدي من مشكاة القرآن المعجز، وبلاغة الرسول ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح العرب وأخطب الخطباء. والرسول ﷺ هو الذي قرر دور الشعر وقدّره حين اتخذه سلاحا في المعركة بين الإسلام وكفار قريش . . ليمضي الشعر بعد ذلك مواكبا لمعارك الأمة الفاصلة، سواء في جهادها القديم ضد الفرس والروم والصليبيين، أو في جهادها المعاصر ضد الاستعمار الغربي الحديث، والخطر الصهيوني الخبيث.

وها هي ذي باكستان تقوم في شعر إقبال دعوة لتوحيد المسلمين ولاستقلالهم أمة متميزة، قبل أن تقوم في عالم الحقيقة والواقع، وبعد موت الشاعر بإحدى عشرة سنة: دولة إسلامية، نرجو لها أن تكون جديرة باسم باكستان «الدولة الطاهرة» كما أراد لها محمد إقبال.

فإذا التفتنا إلى الأمم الأخرى وتأثير الأدب في تاريخها ومصيرها، رأينا الثورة الفرنسية يمهّد لها بأدب فولتير وروسو، والشيوعية يمهّد لها بقصص تورجنيف وتولستوي، ثم تؤثر في مسارها قصص جوركي أيما تأثير. ومن المسلم به أن الفلسفة الوجودية قد انتشرت بمسرحيات سارتر أكثر مما انتشرت بمؤلفاته الفلسفية المجرّدة.

والأدب اليوم - كما يقول الأستاذ محمد قطب(١) - «سلاح يستعمله أعداء الإسلام في إفساد الأجيال وإشاعة الانحلال». وما من مذهب فكري أو سياسي إلا استعمل الأدب لنشر آرائه وحشد الأتباع حوله، حتى كان من قول سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي(٢): «إن العالم اليوم يحكمه القلم، وتحكمه الكلمة».

والكتاب الفكري - وإن كان إسلاميا - فإن قراءه محدودو العدد، وهم أقرب إلى خاصة المثقفين. أما الشعر والقصة المسرحية والتمثيلية والمسلسلة المسموعتان أو المرئيتان فلا يكاد جمهورها يحد، وهو جمهور متنوع من مختلف الطبقات والأعمار.

وإذا كان الكتاب الفكري يخاطب العقل، فيقنع أو لا يقنع، فإن الكتاب الأدبي من شعر أو قصة أو مسرحية، يؤثر في الوجدان تأثيرا خفيا لا يكاد يحس، ولكن هذا التأثير غير المباشر ما يزال يتغلغل في الوجدان حتى يتمكن منه شيئا بعد شيء، وحتى يؤثر في الفكر ويصوغ الشخصية صياغة خير أو شر.

وتقصير الدعاة إلى الإسلام في استغلال الأدب وفنونه، وسيلة للدعوة إلى الله جعل الساحة مفتوحة لأعداء الإسلام ولتجار الكلمة الرخيصة، يملئونها بالأدب المزوّر والأدب المنحل الذي يستهدف عقيدة الأمة وأخلاقها وتماسكها ووحدتها، وينأى بها عن أن تكون كما أراد الله لها خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان للأدب بمفهومه العام ذلك التأثير. فما بالنا بدور الأدب بمفهومه الخاص وهو الأدب الذي ينطلق من عقيدة الأمة ووجدانها، ويؤكد ذاتيتها وتميزها ووحدتها. . ويأبى أن يتطفل على موائد الأغيار تطفل الأيتام على مائدة اللئام، كما يأبى أن يكون أدب الفرود المقلدين، وإن كان لا يغلق على نفسه المقاصير، ولا يأبى أن يعيش عصره، كما لا يأبى أن يستجدّ الحكمة التي هي ضالة المؤمن، وهو أحق بها حيثما وجدها.

ولقد تبنت رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعريف الأدب الإسلامي بأنه «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي».

وهذا الالتزام بالتصور الإسلامي يعني أن الأدب الإسلامي أدب ملتزم - وكان هذا التصور من الربانية والثبات والشمول والتوازن والإيجابية والواقعية والتوحيد(٣).

جمال الدين الافغاني

والتزام أدباء الإسلام بهذا التصور الإسلامي الواحد على اختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم ولغاتهم يعني أن هذا التصور سوف يقف خلف كل مضمون فيما يبدعون من فنون الأدب، دون أن يعني هذا الالتزام تضييق حرية الأديب الإسلامي، أو حصر تجربته الأدبية في أدب الدعوة الإسلامية وحدها، وإنما يكفي الأديب أن لا يأتي في أدبه بما يضاد هذا التصور أو يصادمه، مع التأكيد بأن أدب الدعوة هو قمة الأدب الإسلامي وتاجه الذي يفاخر به الآداب العالمية كلها.

وهكذا ينطلق أدباء الإسلام من تصور عقدي واحد ومن منهج إسلامي واحد في سائر الفنون الأدبية، ليعملوا على تصحيح مسيرة الأدب في الشعوب الإسلامية جمعاء، وليحققوا الوحدة الأدبية قبل الوحدة السياسية، وفي هذا المجال يقول الأمير شكيب أرسلان(٤): «إن جمع الشمل السياسي لا يكون إلا بلمّ الشعث الاجتماعي وبث روح الوحدة الأدبية».

مواكبة تامة

وقد استطاعت الدولة العثمانية أن تضم إليها معظم أقطار العالم الإسلامي، وأن تقيم منها وحدة إسلامية تحت راية الخلافة، وغدت أقوى دولة في العالم، حتى ركزت رايتها على أسوار فيينا بعد أن فتحت اليونان ودول أوروبا الشرقية كلها.

على أن الضعف ما لبث أن دبّ في دولة الخلافة شيئا بعد شيء، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الأولى «تمخضت مع ما ترتب عليها، وتلاها من تقلبات عن أخطر ظاهرة في حياة الإسلام والمسلمين، فللمرة الأولى في حياتهم سقطت الخلافة بعد أن اتصلت حلقاتها ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن، تنقّل مركز الخلافة فيها بين عواصم البلاد الإسلامية المختلفة، ولكنه ظل في كل الأحوال رمزا للرابطة التي تجمع بين المسلمين في شتى بقاع الأرض. . ثم إن الحرب العالمية الأولى قد تكشفت عن وقوع البقية الباقية من بلاد المسلمين تحت سيطرة الدول الغربية، ولم يعد بين الدول الإسلامية دولة واحدة تملك أمر نفسها، أو تستطيع الاستقلال بشئونها»(٥).

ولقد واكب الأدب الإسلامي في شعره ونثره هذه الأحداث كلها، ودعا إلى الجامعة الإسلامية دعما لراية الخلافة، ثم بكى هذه الخلافة عندما وئدت، ومضى يفضح مخططات الاستعمار وتآمره لتمزيق العالم الإسلام واقتسامه، ويصف فظائع هذا الاستعمار وويلاته، ويدعو إلى مواجهته والثورة عليه، ويصف المعارك، ويرثي الشهداء، ويدعو الأمة إلى حشد طاقاتها وتوحيد صفوفها ليقف أبناؤها أمام الهجمات الاستعمارية الشرسة صفا واحدا كالبنيان المرصوص.

ومنذ أطلق السلطان عبد الحميد صيحته: «يا مسلمي العالم اتحدوا»(٦) رأينا الأدباء والشعراء الإسلاميين يتنافسون في ترديد صيحته، ويدعون إلى الجامعة الإسلامية دون كلل أو ملل كما يدعون إلى التمسك بالخلافة لأنها رمز الوحدة الإسلامية.

«فجريدة العروة الوثقى تكتب سنة ١٨٨٤م مجموعة من المقالات في الحث على اتحاد كلمة المسلمين، ويكتب جمال الدين الأفغاني مقالا فيها بعنوان «الوحدة الإسلامية» يقول فيه(٧): «لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، فتعدد الملكة عليهم (أي على المسلمين) كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة،

احمد شوقي

محمد عبده

والسلاطين في جنس واحد. . (وقد) جلب تنازع الأمراء على المسلمين تفرق الكلمة وانشقاق العصا، فلهَوْا بأنفسهم عن تعرض الأجانب بالعدوان عليهم».

ويتحدث أمير البيان شكيب أرسلان عن الجامعة الإسلامية مؤكدا أن قوة الأخوة، والرابطة بين المتحدين في العقيدة أمر طبعي فيقول(٨): «وإن كان بين المسلمين أثر من الجامعة الإسلامية فليس من عجب في ذلك لسببين: أحدهما أن التضامن بين الضعفاء أمر بدهي لا يحتاج إلى برهان، حتى ولو لم ينتموا إلى عقيدة واحدة، فكيف إذا اتحدوا في عقيدة؟. . الثاني: أن المسلمين من حيث المجموع يعتقدون بقرآنهم وشريعتهم، ويرون فيهما سعادتهم وراحة وجداناتهم، وفي القرآن الكريم، ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. . فالمسلم يجد إخاءه للمسلم فرضا محتما عليه، ومؤازرته من باب الشرع الذي من ترك شيئا منه فهو آثم».

ويقول الزعيم المصري مصطفى كامل(٩): «وواجب المسلمين أن يلتفوا أجمعين حول راية الخلافة الإسلامية المقدسة، وأن يعززوها بالأموال والأرواح، ففي حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم وفي بقاء مجدها رفعتُهم ورفعة العقيدة الإسلامية».

وهذا الموقف المجيد من الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية لدى كتاب العصر وقادة الفكر فيه يمكن أن نتتبَّعه في الشعر فنجدَه في مثل هذا الوضوح(١٠). فقد «كان معظم الشعراء الذين عاشوا تلك الفترة متعاطفين مع الدولة العثمانية. . وكانوا يرون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، وأن الجامع لكلمة المسلمين الموحد لصفوفهم إنما هو الخليفة، وأن حروب الخليفة العثماني ليست إلا دفاعا عن الإسلام والمسلمين»(١١).

ومع ما دبّجه شكيب أرسلان من مقالات في الجامعة الإسلامية فإنه يقول في مقدمة ديوانه(١٢): «لي عدة قصائد، كنت أمدح بها السلطان عبدالحميد، ولم أكن أقدّمها للحضرة السلطانية، وإنما كنت أنشرها في الجرائد تعظيمًا لمقام الخلافة، وتأييدا لوَحدة الأمة».

ويقول في معرض حديثه عن مدائح شوقي(١٣):

«وعاب بعضهم على شوقي، وربما عابونا على مدح الأمراء ومدح السلطان. . . والحقيقة أن شوقي عندما يرسل كلماته الخالدة في مديح السلطان الخليفة فإنما يقدس مقام الخلافة العزيز على المسلمين، الناظم لشملهم، القائم في وجه عدوهم».

وكان مما قاله شكيب أرسلان في قيام الجامعة الإسلامية على العقيدة، واستعلائها على آصرة الدم والجنس قوله(١٤):

كفى «الشهادةُ» فيما بيننا نسباً إن لم تكن جمعتنا وحدة النسب

وهو القائل في الحروب البلقانية، مؤكدا وحدة العرب والأتراك تحت راية الإسلام(١٥):

فمن مُبلغ البلغار أنا إلى الوغى وإخواننا الأتراك نزحف توأما
وأنّ جميع العرب والترك إخوةٌ عليهم إليهم يبتغون تقدّما
وليس يزال العرب والترك أمةً حنيفيّة بيضاء لن تتقسّما

وكان أمير الشعراء أحمد شوقي من أكثر الشعراء إسهاما في الدفاع عن الخلافة والدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وهو القائل في الحرب العثمانية اليونانية(١٦):

وزينبُ إن تاهتْ وإن هي فاخرتْ فما قومُها إلا العشيرُ المحبَّب
يؤلّف إيلام الحوادث بيننا ويجمعنا في الله دين ومذهب

وهو يحثّ شعوب الخلافة العثمانية على الاتحاد والتناصر، فيقول في عدوان إيطاليا على طرابلس الغرب(١٧):

يا قومَ عُثمانَ والدنيا مداوَلة تعاونوا بينكم يا قومَ عثمانا
كونوا الجدارَ الذي يقوىٰ الجدار به فالله قد جعل الإسلام بنيانا

ولم يكن شاعر الإسلام أحمد محرم يقل عن أمير الشعراء في الدعوة إلى تعزيز الجامعة الإسلامية، بل لعلنا لا نغالي إذا قلنا: إنه كان أصدق الشعراء لهجةً في هذا المجال، وهو يقول عن الإيطاليين المعتدين(١٨):

غُرّوا بأن البُعدَ بين العرب والأتراك شاسعْ
وبأن بين قلوبنا صَدعاً من الأضغان واسع
يا ضَلّةً لم يعلموا أن الخلافة خيرٌ جامع
فلنبذلنَّ لها النفوس ودون حَوزتها ندافع
ما التركُ إلا مثلَ كفِّ الباسل العاري الأشاجع
والعربُ مثل أصابع لا كفَّ إلا بالأصابع

ويقول فيمن يسعى إلى شق عصا الخلافة وتمزيق وحدة الأمة(١٩):

ألا إنّ من شَقَّ العصا لَمُذمَّم وإن الذي يبغي الفساد لآثم
ومن كان يأبى أن يوالي إمامَه طواعيةً والاه والأنف راغم
سيعلم من خان الخليفة أنه مُواقع أمر، شرُّه متفاقم
تباركتَ ربي كيف يعصيك مسلم فيوقعَ بالإسلام ما أنت عالم
تباركت إن المسلمين كما ترى تغاريقُ منها مستطير ورازم(٢٠)

ويهاجم الرصافي زمرة الانفصاليين الذين عقدوا مؤتمرا في باريس منادين باستقلال العرب عن دولة الخلافة، فيقول(٢١):

لو كان في غير باريز تألّبهم ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا
لكنّ باريز ما زالت مطامعها ترنو إلى الشام تصعيدا وتصويبا
هل يأمن القوم أن يحتلّ ساحتهم جيش يدك من الشام الأهاضيبا

جامعة إسلامية

ولما بدأت نذر الخلاف تشتد بين العرب والأتراك قبل انفضاح لوايا الأتراك الاتحاديين وسعيهم لإسقاط الخلافة قام عدد من الشعراء يحضّون على الوئام، ويحذرون من الفُرقة(٢٢)، ومن ذلك قول فؤاد الخطيب(٢٣):

أإخواننا الأتراكَ مدّوا لنا يدا من الودّ إنا قد مددنا لكم يدا
ألسنا بحمد الله شعبا موحّدا فما بالنا لم نرض شملا موحّدا
خذوا لغة القرآن جامعة فإنْ فعلتمْ جمعتم شمل أبناء أحمدا
وكانت لكم في الشرق والغرب هيبة تخرّ لكم شُمُّ الممالك سجّدا

ولم تكن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية قصرا على الكتاب والشعراء العرب، بل أسهم فيها كثير من الأدباء في شتى الأقطار الإسلامية، ويكفي أن نمثل لذلك بموقف شاعرين عظيمين، لقّب كل منهما بشاعر الإسلام، أولهما الشاعر التركي محمد عاكف، وثانيهما الشاعر الهندي محمد إقبال. وكان كلاهما يعزفان على قيثارة واحدة هي الوحدة الإسلامية، ويتغنيان بنشيد واحد هو مجد الإسلام(٢٤).

«وكان مبدأ محمد عاكف العودة إلى مبادئ الإسلام الأولى حتى يستقيم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية، وتوحيد صفوف المسلمين حتى يحاربوا الحروب الصليبية الحديثة»(٢٥). وكان في موقفه هذا متأثرا بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في دعوتهما إلى الجامعة الإسلامية، وظهر ذلك في هذا في تصدّيه للتيار الجارف الذي ظهر في تكوين الشخصية التركية الحديثة على أساس الجنس والعنصرية والتخلص من الارتباط بالعرب(٢٦)

وقد حاول محمد عاكف إثر هزيمة الخلافة في الحروب البلقانية أن يستنهض الأمة الإسلامية ويعيد الوَحدة بين شعوبها، وبخاصة بين الأتراك والعرب، فقال(٢٧):

انهضي أيتها الأمة الثكلى فقد أصبح الصباح
أم تريدين أن تستمعي إلى أصوات النواقيس؟ . . .
افتحي عينيك جيدا . . .
فلن يبقى هناك عربي ولا تركي . . .
لا حياةَ للتركي بدون العربي
فالعربي للتركي عينُه التي يبصر بها
ويمينه التي يبطش بها
اتحدوا أيها المسلمون . . .
لا تنازعوا فتفشلوا . . .
ولا يبقى لكم دولة ولا دين . . .

ويقول في مهاجمة العصبية العنصرية التي تمزق الأمة(٢٨):

هل كان للعربي فضل على التركي؟ . . .
أو لِلاظ فضل على الجركسي أو الكردي؟ . . .
هل كان للفارسي فضل على الصيني؟ . . .
ما هذا الذي أصابكم أيها المسلمون؟ . . .
هل ثمّة عنصرية في الإسلام؟
والرسول ﷺ يلعن العنصرية
(إذ يقول: ليس منّا من دعا إلى عصبية).

أما شاعر الباكستان، بل شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال فإنه يعجب لتفرق المسلمين وتأخرهم فيقول(٢٩):

ألم يُبعثْ لأمتكم نبيٌّ ... يوحّدكم على نهج الوئام
ومصحفُكم وقبلتُكم جميعا ... منار للأخوّة والسلام
وفوقَ الكل رحمانٌ رحيم ... إلٰهٌ واحد ربّ الأنام
فما لنهار ألفتكم تولى ... وأمسيتم حيارى في الظلام

وهو يخاطب العرب الذين كان ينظر إليهم على أنهم واسطة العِقد في الوَحدة الإسلامية فيقول(٣٠):

أسفًا على هذا الخمود والجمود أيها العرب . . .
ألا ترون إلى الأمم الأخرى
كيف تقدّمت وسبقت؟ . . .
أمّا أنتم فما قدّرتم قدْر هذه الصحراء
التي نشأتم فوق رمالها . . .
ولا هذه الحرية التي وَرثتموها . . .
كنتم أمة واحدة . . هي أمة الإسلام
فصرتم اليوم أمما . .
وكنتم حزبا واحدا . . هو حزب الله
فأصبحتم أحزابا . .
لقد فرّقتم جمعكم . .
ومزّقتم شملكم . .
وانقسمتم على أنفسكم . .

دويّ هائل

ولما سقطت الخلافة كان لسقوطها دويّ هائل في أنحاء العالم الإسلامي، ومضى الكتاب والشعراء يندبونها مؤكدين أنها كانت الخيط الناظم لوحدة المسلمين الكبرى.

وكان مما قاله الأمير شكيب أرسلان(٣١): «كانت الخلافة أحسن علاقة جامعة بين المسلمين، وكان أربعمائة مليون مسلم في العالم يتولّون حكومة

تركيا بحجّة أنها دولة الخلافة، فجاء مصطفى كمال، وقطع هذه العلاقة بين تركيا والعالم الإسلامي، وزعم أنه لا يلوي على علاقة غير علاقة الترك خاصة، وأن سائر المسلمين والأجانب في نظره سواء. وهو أمر مخالف للحقيقة وللواقع وللمصلحة».

ومضى شكيب أرسلان يقرّر(٣٢) «أنه لما سقطت الخلافة، وانصدعت الوحدة ساءت الحال، وتفرّق الشمل، وزالت الهيبة، وذلّ العرب. وبعد أن كان الناس لهم خدما صار العرب خدما للناس» ثم يقول أيضا(٣٣): «هذه هي الخلافة التي يقول بعض الناس اليوم: إنها لم تفد الإسلام بشيء، بل يقولون: إنها كانت وبالا على المسلمين. وما كان وبالا على المسلمين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع. ولا سيما العرب الذين هم كما قال النعمان بن المنذر لكسرى: «تراهم كلهم ملوكا» وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ملوكا ينتهي أمرها بأن يملك أمرها الأجانب، ولا يبقى لها ملوك».

ونشر الشيخ محمد شاكر مقالا في صحيفة المقطم يصور فيه خيبة الأمل في الكماليين الذين ظن الناس بهم خيرا حين حاربوا الخلفاء، ولكنهم أسقطوا الخلافة، ومضوا يحاولون قطع الصلات التي تربط تركيا بالإسلام والمسلمين، فهو يقول(٣٤): «رحم الله زمانا كنا نعطف فيه على هذه الفئة إبان تمردها على السلطنة العثمانية، وهي تجالد مجالدة الأبطال لطرد الأعداء من الأناضول، وزحزحة الحلفاء عن دار الخلافة. والله يشهد أن الذي حدا بنا إلى العطف على هؤلاء المتمردين إنما هو الإشفاق على الخلافة العظمى أن تمتد إليها يد المهانة والاستذلال، وهي البقية الباقية من مجد الإسلام وعهد النبوة الأوّل، وهي العزاء الوحيد الذي كنا نتعزى به في نكبات الأيام وصروف الليالي. . عجيب أمر هؤلاء الذين تسللوا في جنح الظلام إلى كهوف الأناضول، وظلوا يهتفون باسم الإسلام حتى حازوا فخار النصر، كيف ارتدّوا على أدبارهم يحاربون الإسلام بأسوأ أداة ملكتها أيديهم في أعز عزيز على العالم الإسلامي، وهو نظام الخلافة».

ويقول الدكتور محمد محمد حسين(٣٥): «من أعنف ما نشرته الصحف في هذه المناسبة ومن أقواه مقال لكاتب لم يصرح باسمه، نشرته صحيفة الأهرام في صفحتها الأولى تحت عنوان «يا غربة الإسلام في موطنه» وفيه يقول(٣٦): «ما استطاع أعداء الإسلام أشدَّ ما كانوا به ائتمارا، وأعدى ما كانوا عليه عدوانا، وأصدق ما كانوا رغبة في الكيد له والنكاية فيه، أن يبلغوا منه ما بلغه هؤلاء الكماليون على مرأى ومسمع من المسلمين جميعا. . . فإقدام الكماليين على إلغاء الخلافة أكبر جريمة في عهد هذه الدولة على الدولة، وأشنع جريمة في تاريخ الإسلام على الإسلام» ولم يبك أحد من الشعراء الخلافة مثلما بكاها أمير الشعراء أحمد شوقي، في قصيدة بالغة الروعة، تنبأ فيها بما سوف يكون بعد إلغاء الخلافة من فتن كقطع الليل(٣٧):

عادت أغاني العرس رجع نواح ... ونُعيتِ بين معالم الأفراح
كُفّنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودُفنت عند تبلّج الإصباح
ضجّت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصرُ حزينة ... تبكي عليك بمدمع سحّاح
والشام تسأل والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح
فلتسمعُنّ بكل أرض داعيا ... يدعو إلى الكذاب أو لسجاح
ولتشهدُنّ بكل أرض فتنة ... فيها يباع الدين بيع سماح

ورثى أبو الفضل الوليد الخلافة مبيّنا ما أصاب المسلمين من أنواع البلاء والمحن بعد أن انفرط عقد الخلافة الجامعة، وتهدّم حصنها المنيع، فقال(٣٨):

الشام يقهر والعراق يضام ... فاليوم لا عرب ولا إسلام
أين العروبة والخلافة منهما ... والمسلمون بلادهم أقسام
لبني أمية أو بني العباس في ... تلك الربوع أمانة وذمام
ذهبت خلافتهم وضاع سريرها ... فبكى عليها منبر وحسام
إن الخلافة بان عنها ربّها ... فالمؤمنون جميعهم أيتام

ويهجو محمد إقبال أولئك الذين مزقوا الخلافة فيقول(٣٩): «مزق الأتراك السخفاء من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي جلباب الخلافة، فما أغباهم، وما أدهىٰ أعداءهم».

وهكذا تبدد شمل الخلافة الإسلامية، وتداعت دول الغرب الصليبي إلى أقطارها، كما يتداعىٰ الأكلة إلى قصعة الطعام، وضاع المسلمون في تيه الجهل والضعف والفرقة، وذاقوا أنواع الذل والاستعباد، ومضوا يتلمسون النجاة بعيدا عن منهج الإسلام القويم، وتقاسمتهم المذاهب الهدامة تفتك بهم فتكا ذريعا من قومية وعلمانية واشتراكية فوضوية وشيوعية هدامة.

وكان من جراء ذلك كله أن استشرى الخطر الصهيوني الذي كان السلطان عبد الحميد وقف أمامه من قبل وقفته المشهورة، وأقام اليهود دولتهم التي تآمر المعسكران الغربي والشرقي على إقامتها، ومدّها بأسباب الحياة من مال وسلاح وتسهيل لأسباب الهجرة إليها، حتى رأينا الستار الحديدي في روسيا ينفتح أخيرا ليقذف بنحو مليون مهاجر يهودي تمهيدا لإقامة إسرائيل الكبرى.

كذلك احتل الاستعمار الروسي أفغانستان، وأقام فيها حكومة شيوعية تأتمر بأمره لتقوم ثورة المجاهد الأفغاني ضد الدب الروسي، ولسان حالها يردد قول حافظ إبراهيم:

نذبح الدبَّ ونفري جلده ... أيظن الدبُّ ألاّ يُغلَبا

وكان الأدب الإسلامي في خلال تلك الأحداث والغمرات، يحاول أن يقوم بدوره في إنقاذ الأمة الإسلامية، ويرسم لها طريق الخلاص بالعودة إلى الإسلام من جديد. وعمل كتاب الإسلام وشعراؤه على فضح مخططات الاستعمار غربيّه وشرقيه، وصليبيّه ويهوديّه، ووصفوا ما ارتكبه من فظائع تقشعر لها الأبدان، كما بينوا أن هذا الاستعمار لا يحتكم إلا إلى شريعة الغاب، ولا يخضع إلا لمنطق القوة، ومن هنا دعوا إلى الجهاد الإسلامي، ووصفوا المعارك والثورات ضد المستعمر الدخيل، وأشادوا بالبطولات الإسلامية الفذّة، ورثوا شهداء الأمة الأبرار، ولم يغفلوا في أثناء ذلك كله عن وصف واقع الأمة وتخلفها، وذلك لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم، كما حذروا الأمة من أخطار المبادئ الهدامة التي كانت تعصف بها، وتكاد أن تمزقها شر ممزّق.

وجاء كل ما قيل من شعر ونثر في هذه المحاور المختلفة مؤكدًا وحدة الآلام والآمال ووحدة المصير في شعوب الأمة الإسلامية جمعاء، وداعيا دعوة صريحة إلى السير في طريق الوحدة الإسلامية مهما طال الطريق إليها، وتشعبت المسالك دونها.

وإذا كان مجال البحث يضيق عن استعراض سائر هذه المحاور، فلا أقل من أن نلقي الضوء على أهمها، مما يؤكد ما كان يقوم به الأدب الإسلامي من استنهاض المسلمين، وإعادتهم إلى دينهم ووحدتهم التي أرادها الله لهم، ودعاهم إليها في قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون(٤٠)﴾.

ومن أول المحاور التي أسهم فيها الأدب الإسلامي فضحُه لمخططات الاستعمار، وإظهاره أن الهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي كله إنما هي حرب صليبية جديدة، وفي هذا المجال يقول شاعر الإسلام أحمد محرّم(٤١):

لا قبة الإسلام قائمةٌ ولا ... مُلْكُ الخلائف ثابتُ الأركان
يمضي تراث المسلمين موزّعا ... والمسلمون نواكس الأذقان
ما بين مصرَ إلى طرابلسٍ إلى ... عدنٍ إلى القوقاز فالبلقان
كرّ الصليب عليه كرةَ حانق ... ضَرِمِ العداوة ثائرِ الشنآن
حار (الهلال) فما يحاول نهضة ... إلا رماه محلِّقُ الصلبان

ويعلن أن نوايا الغرب قد تكشفت مما يوجب التماسك في مواجهة شروره(٤٢):

تكشّف الغربُ وانصاحت مآربه ... فلا الشكوك تواريها ولا الريب
سيروا بني الشرق في ظل الإخاء عسى ... أن تفلحوا ولعل الصدع يرتئب

ويفضح حافظ إبراهيم طمع الاستعمار الغربي مهيبا بالشرق أن ينهض من سباته(٤٣):

طمعٌ ألقى عن الغرب اللثاما ... فاستفق يا شرق واحذر أن تناما
كشفوا عن نية الغرب لنا ... وجلَوْا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطورا من دم ... أقسمت تلتهم الشرق التهاما

ويبيّن الرصافي نظرة الغرب إلى المسلمين مؤكدا أن الإسلام ذنب الأمة الكبير في نظر الغربيين(٤٤):

أيها المسلمون لستُم من الغرب بحال تستوجبون احتراما
إنما أنتمُ لدى الغرب قوم ... خلقوا عن سوى الشرور نياما
فإذا ما وسعتم الناس حِلما ... عدّه الغرب شِرّةً وعُراما
وإذا ما ملأتمُ الأرض عدلا ... عُدّ جورا، أو مفخرا عدّ ذاما
وإذا ما افترى عليكم عدوّ ... سكتوا عنهمُ ومروا كراما
إن تكن هذه السياسة عدلا ... فإلى الظلم نشتكي الآثاما

رحم الله أمة أصبح الغرب يرى كلَّ ذنبها الإسلاما

وفي هذا الاستعمار الذي لا يفهم إلا بمنطق القوة، ولا يحتكم إلا إلى شريعة الغاب يقول الأمير شكيب أرسلان(٤٥):

فما العيش إلا أن نموت أعزّة ... وما الموت إلا أن نعيش ونسلما
تجاهل أهل الغرب كل قضية ... إذا لم يجئ فيها الحسام مصمّما

وإذن فلابد من الثورة على هذا المستعمر الغاشم ولا بد من حمل السلاح وإعلان الجهاد، وها هو ذا خليل مردم يحفز كتائب الثوار فيقول(٤٦):

يا أيها الثوار هذا يومكم ... فإذا انقضى لا تدركون فلاحا
«حلفاؤكم» حسبوا البلاد غنيمة ... جادوا بها إذ قسّموا الأرباحا
الحكم لله المهيمن لا لهمُ ... ذَلّ الذي يُلقي الغداة سلاحا
أين الكتائب فيكم رجراجةً ... تذر الروابيَ والتلاع بطاحا
الموت أربح صفقةً من عيشة ... من أسرها لا ترتجون سراحا

ويقول أنور العطار في مثل ذلك(٤٧):

يا صِحابي ومعشري وقبيلي ... آن أن تستفيق تلك الصوارم
صَدأ الدهر لم ينل من ظُباها ... فهي مسنونة الشفار حواسم
فامنعوها غمودها وكراها ... واستثيروا بها دفين العزائم
لا تناموا على الإسار وتُغفوا ... فلقد ملّت القيود المعاصم
وانفضوا عنكم الرقاد وهبّوا ... لم تلن هذه الحياة لنائم

ويقول خير الدين الزركلي في معركة ميسلون التي تصدى فيها السوريون للجيش الفرنسي الزاحف على بلاد الشام(٤٨):

غلت المراجل فاستشاطت أمة ... عربية غضبا وثار رقود
زحفت تذود عن الديار، وما لها ... من قوة فعجبت كيف تذود
الطائرات محوّمات حولها ... والزاحفات صراعهن شديد
ولقد شهدت جموعها وثابة ... لو كان يدفع بالصدور حديد

ويصف أمير الشعراء أحمد شوقي هذه المعركة من خلال رثائه لقائدها البطل الشهيد يوسف العظمة، فيقول(٤٩):

مشى ومشت فيالق من فرنسا تجر مطارف الظفر اختيالا
ملأن الجو أسلحة خفافا ووجه الأرض أسلحة ثقالا
وأرسلن الرياح عليه نارًا فما حفّل الجنوب ولا الشمالا
أقام نهاره يُلقي ويَلقى فلما زال قرص الشمس زالا

ويقول محمود حسن إسماعيل في ثورة المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي(٥٠):

على الشرق نار ستفني الطغاه
وتأكل من سدَّ يوما خطاه
ومن قيّدوه وشلّوا ضحاه
وفي الشرق عار، شربنا لظاه
وصرنا من الخزي فوق الجباه
عبيدا نصلّي لسوط العتاه
وللشرق ثار عرفنا مداه
إذا أذّنت للجهاد الصلاه
دفنّا مع الغاصبين الحياه

ويصف خير الدين الزركلي ثورة الجزائر فيقول(٥١):

وفي أفق الجزائر وهج نار وقود لهيبها غير الوقود
تفانى أهلها في الذود عنها سراعا بالزناد وبالزنود
وما زكى المواطن كالضحايا يرفرف فوقها علم الخلود

ويقول حسن كامل الصيرفي في قصيدة «ميلاد أمة» واصفا مواجهة المصريين للاحتلال الإنكليزي الذي جثم طويلا على صدر مصر(٥٢):

بسمت للهول إذ أبدى نواجذه وقلت للموت: هذا يوم ميلادي
ميلاد أمتي الشماء، فانكشفت لي الطبيعة من وهد وأطواد
ورجّعت سموات الله صرختنا كأنها غابة ضجّت بآساد
وقوّضت عزمات الباسلين ذرىً شمّا تحصّن فيها الغاشم العادي
كتائبٌ في سبيل الحق غازية تردّ من لهوات الجائع الصّادي
عادت إلى الوطن المجروح تنقذه بعد المذلة من غل وأصفاد

ويدعو علي محمود طه إلى الجهاد ضد اليهود في قصيدته «نداء الفداء» فيقول(٥٣):

أخي جاوز الظالمون المدى فحَقَّ الجهاد وحق الفدا
أتتركهم يغصبون العروبة مجد الأبوّة والسؤددا
وليسوا بغير صليل السيوف يجيبون صوتا لنا أو صدى
فجرّد حسامك من غمده فليس له بعد أن يغمدا
أخي قم إليها نشقّ الغمار دما قانيا ولظى مرعدا
أخي ظمئت للقتال السيوف فأوردْ شباها الدم المُصعَدا
فلسطين يحمي حماك الشباب وجلّ الفدائيُّ والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور فإما الحياة وإما الردى

ويقول الدكتور عبد الرحمن بارود في مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين(٥٤):

قائدي فارس البُراق وإخوا ني المثنّى وطارق بن زياد
قد أضاء القرآن قلبي فحلّقـ ـتُ وراء الأزمان والأبعاد
(مكّتي) أخت (طيبتي) أخت (قدسي) كل من مسّهن مسّ اعتقادي
برقت «بدرُنا» الجديدة.. هذا الشر قُ يصحو على صهيل الجياد
فوق كل الرايات راية ربي ويد الله فوق كل الأيادي

ويقول الدكتور عبد الرحمن العشماوي في جهاد أطفال الحجارة(٥٥):

ووقفت حين رأيت طفلا شامخا قاماتنا من حوله تتقزّم
طفل صغير والمدافع حولَه مبهورة والغاصبون تبرّموا
في كفه حجر وتحت حذائه حجر، ووجه عدوّه متورّم
من أنت يا هذا؟ ودحرج نظرة نحوي لها معنى وراح يتمتم
أنا من ربوع القدس طفل فارس أنا مؤمن بمبادئي أنا مسلم
لغة البطولة من خصائص أمتي عنا رواها الآخرون وترجموا
يا أمة الإسلام نحن حقيقة في أرضنا فتدبروا وتفهّموا
ها نحن في درب الجهاد وفوقنا مطر الرصاص وللحجارة موسم
مِن داخل الوطن السليب جهادنا لسنا وراء حدوده نتكلّم
وإذا سألتم عن حقيقة حالنا فلدى حجارتنا جواب مفحم
نرمي بها الباغي، وفي إسلامنا أن الشياطين اللعينة ترجم
سكت الرصاص فيا حجارة حدّثي أن العقيدة قوة لا تهزم

ويجمع الدكتور عدنان نحوي بين الجهاد الفلسطيني والجهاد الأفغاني، فيقول (٥٦):

يا أديب الإسلام أين السرايا نزعت عن مضاجع ومُهود
أيقظتها صواعق من نداء خاطفاتٌ بقيةً من كبود
دفعتها إلى النزاع أهازيجُ فماجت على لهيب النشيد
وجلتها على بطاح (فلسطينَ) دويًّا في يومها المشهود
وعلى (كابل) وزمزمت الأرض لهيبا وأرعدت بالجنود

ويقول محمود مفلح في مسيرة الجهاد الأفغاني مستبشرا بالنصر متحدثا عن أثر العقيدة في هذه الثورة، فيقول (٥٧):

لن يطول الظلام يا (كابول) الطواغيت كلها ستزول
أنت بنت الإسلام والشامة الزهراء في خده وأنت القبيل
أنت بنت الإسلام والمجرم الوغد سراب على ثراك دخيل
راية الله في سمائك كالنسر وفرسانه لديك الأصول
إنها ثورة العقيدة فالأرض حنين والمسلمون سيول

ويؤكد أحمد محمد صديق هذه المعاني الإسلامية في جهاد الأفغان فيقول (٥٨):

على تلك الجبال الشم حيث يدمدم الحجر
ومن أعماقنا يا (قُندَهارُ) تفجر الشرر
و(يا كابولُ) معجزة الجهاد يخطّها القدر
وباسم الله... باسم القاهر الجبار ننتصر
وتشرق في كهوف الليل منّا الآي والسور

وهكذا تتجلّى صورة المجاهد المسلم في كل زمان ومكان، وفي كل ثورة وزحف، ونرى هذه الصورة أجلى ما تكون في قصيدة «المجاهد» لسليم زنجير، حيث يقول (٥٩):

ماضٍ، وأعرف ما دربي وما هدفي والموت يرقص لي في كل منعطف
وما أبالي به حتى أحاذره فخشية الموت عندي أبرد الطرف
أنا الحسام بريق الشمس في طرف مني، وشفرة سيف الهند في طرف
أهفو إلى جنة الفردوس محترقا بنار شوقي إلى الأفياء والغرف
وقد أمر على الدنيا وسادتها من الطغاة مرور الليث بالجيف
إني سئمت هوى الدنيا وزهرتها وملّ قلبي ذرا روضاتها الأُنُف
وقد بلوت لياليها وأنهرها فتى وحزت لآليها من الصدف
فلم أجد غير درب الله درب هدى وغير ينبوعها نبعا لمغترف
فطرت أسعى إليه أبتغي تلفي به، ورب خلود كان في تلف
والناس تصرخ: أحجم، والوغي نشبت والله يهتف بي: أقدم ولا تخف
ماضٍ، فلو كنت وحدي والدنا صرخت بي: قف، لسرت فلم أبطئ ولم أقف

وحدة إسلامية

وكثيرا ما كانت الدعوة إلى الجهاد تقترن بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية، أو

تأتي تمهيدا وتأكيدا لحتميّتها، فها هو ذا شاعر الإسلام أحمد محرم يدعو العرب إلى مخاطبة الغرب بلغة النار والدم، ويدعو إلى وحدة عربية تحت راية الإسلام، لتكون نواة للوحدة الإسلامية التي طالما تغنى بها، ودعا إليها (٦٠):

أممَ العروبة جاء يومك فاعملي ... وإلى مكانك فانهضي وتقدمي
لك في فم الأحداث دعوةُ صارخ ... ينفي القرار عن الشعوب النوّم
ضمي القُوىٰ وتجمعي في وحدة ... عربية تحمي اللواء وتحتمي
هذا زمان ليس يفهم أهلُه ... إلا حديث النار أو لغة الدم
كثرت لغات العالمين وهذه ... أوفىٰ بيانا في اللسان وفي الفم
والعدل أكثر ما يكون حديثه ... أنشودة الجاني ودعوى المجرم
أممَ العروبة جدّ جِدّك فانظمي ... من عقدك المنثور ما لم يُنظم
لك أن تسودي تحت رايتك التي ... خفقت لها الدنيا فسودي واسلمي

وينظم الأستاذ عبد الحكيم عابدين نشيداً إسلامياً، يمزج فيه بين الدعوة إلى الجهاد وبين الدعوة إلى الوحدة الإسلامية فيقول (٦١):

جدّد العهد وجنّبني الكلام ... إنما الإسلام دين العاملين
واقرع الطبل وخذ متن الحسام ... فبحدّ السيف يُحمى كل دين
وطني الإسلام لا أفدي سواه ... وبنوه أين كانوا إخوتي؟
مصر والشام ونجد ورباه ... مع بغدادَ جميعا أمتي
برئ الإسلام من شاك مقيمْ ... لا يراه غير صوم وصلاة
ذروة الدين جهاد في الصميمْ ... فَلْنجاهدْ أو لِتلفظْنا الحياة

وينظم الدكتور زاهر الألمعي قصيدة بعنوان «عودي إلى درب الحياة» فيتحدث عن خطر انقسام الأمة إلى يمين ويسار، ويبين أن إنقاذ المسجد الأقصى لن يتم إلا بوحدة إسلامية متينة، تربط أواصرها العقيدة السليمة(٦٢):

المسجد الأقصى ويا لإهابة ... حرّى مضرجة تحشرج في فمي
خجلاً وحزناً من مواقف معشر ... من مأثم يتخبطون بمأثم
شغلتهم الثارات فيما بينهم ... وتنكبوا نهج الصراط الأقوم
هذا يميني ورجعي وذا ... حزب اليسار يقال عنه: تقدّمي
بئس التهاتر ضاع في غمراته ... أمل بوحدة صفنا المتثلم
ما غير دين الله يجمع شملنا ... ويعيد سؤدد مجدنا المتصرم
ربطت أواصرنا العقيدةُ فارتقىٰ ... عز الجدود إلى عَنان الأنجم
المسجد الأقصى وخفق حشاشتي ... منه ونبضٍ تألمي وترنّمي
لا، لن تحرره دعاوىٰ هاتف ... بالسلم زوراً، للعدا مستسلم
لكنْ جهاد عادل متطاول ... فتأهبي يا أمتي وتقدمي

وفي قصيدة «هُوّية» يربط الأستاذ حيدر غدير بين معاني الجهاد والوحدة التي تجمع سائر الأجناس في هوّية إسلامية واحدة، وهو يؤكد أن هذه الوحدة تقوم على أساس راسخ من الإيمان بالإله الواحد والإسلام الكامل والقرآن الخالد، فيقول (٦٣):

سلاماً يا بني ديني سلاما ... ونشراً لا تدانيه الخزامى
حملت لكم من الأقصى غراما ... ومن أرض الحجاز هوى عراما
لكل مجاهد في الله قاما

يجمّعنا إذا اختلفت أصول ... إلّه واحد، دين نبيل
و(كعبتنا) و (طيبة) والرسول ... وقرآن له دانت عقول
تزول الراسيات ولا يزول

وقالوا: من حجاز الخير جئتا ... على أرض العراق ترى نشأتا
وهل في جلّقَ الفيحاء عشتا ... أم الأردنِّ ساحِك قد ولدتا
فمن أي التخوم تُراك أنتا

فقلت لهم: أتيت من الكتاب ... ومن تاريخنا الزاهي العباب
ومن برق المواضي والحراب ... ومن مجد الأعنة والقباب
ترى يكفيك يا هذا جوابي ؟

أتيت من الشآم ومن سناها ... ومن أرض الكنانة من رباها
ومن أبطال سيّافٍ فتاها ... حنى الأفغان لله الجباها
فطاب جهادهم وسما وتاها

أتيت اليوم من مليار مسلمْ ... بهم غضب كإعصار يدمدمْ
همُ جيش الجهاد أتى فأكرم ... وحيّ زحوفهم واطرب وسلّم
وعِدْهمْ يا أخي بالنصر عدهم

ولم تكن الدعوة إلى الجهاد ضد المستعمرين وقفا على كتاب العربية وشعرائها، فها هو ذا شاعر الإسلام محمد عاكف يهاجم الاستعمار الروسي حينا، والإنجليزي حينا آخر، وهو يقول في معركة جناق قلعة (٦٤):

إن آذان الغرب وأحاسيسه صمّاء
لا يسمع صيحات أولئك المسلمين البؤساء
بل إن البشرية كلها تستغيث وتبتهل إلى الله العلي القدير
أن يرحمها من هؤلاء القساة الذين يسوقون الملايين إلى الموت..
إن ما فعله الغرب الصليبي تجاه المسلمين أمر فظيع
لقد اتحدت كلمته على تدمير البلاد الإسلامية ومحوها من الوجود
والدولةُ العثمانية التي تقف صامدة أمام الطغاة
هي آخر معقل للإسلام، وهي أمل المسلمين في الخلاص والنصر
انظروا إلى هذا الجندي المقدام.. إنه من جند الله
نعم.. إن عينيّ الآن تتبعان أفراد جيشنا فرداً فرداً
إنهم أعظم الأبناء الذين يشكلون جيشنا الباسل
إنهم يدافعون عن الإسلام
وإن استشهدوا فإلى رحمة الله
إنهم أمل ثلاثمائةٍ وخمسين مليونا من المسلمين
يا لها من كارثة محققة إذا انهزم هؤلاء البواسل
سوف تتهدم المآذن وتهوي من صدر الفضاء
ولن تسمع صوتا يردد «الله أكبر» مرة أخرى
أيها الأبطال الصناديد، لا تخشوا الأعداء
ولا ترتدوا على أعقابكم، نحن معكم..

وأما شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال فقد بحث عن المثل الأعلى للإنسان فرآه في المسلم الكامل «الخليفة في الأرض، إنه المسلم الذي خُلُقُه القرآن، ومعتمده الرحمن، المسلم الواثق من نفسه، المحترم لذاته... مَنْ عزيمته سيف، وإرادته انتصار، وطريقه جهاد وغايته استشهاد»(٦٥):

وإلى هذا المسلم اتجه إقبال ليحيّي فيه روح الجهاد فقال (٦٦):

قم وانشر التوحيد في الدنيا ووحّد الأمم
فأنت خير من دعا ... وأنت خير من حكم
منزلك العلوي لا ... تحجب صرحه الغيوم
أنت من الجيش الذي ... غبار خيله النجوم

وقال مخاطبا المجاهد المسلم الذي يقاتل معه جنود السماء إذا صدق مع الله (٦٧):

أنت رب الجنـــود أنت فتى الميـــدان أنت المغـــزى وأنـت القضيـــة
إن أهل السمـــاء جنـدُك لـــو تـــدري استغلّيت هـــذه الجنـــديـــة

بصيرة نافذة

وكان إقبال يؤمن بأن نهضة المسلمين رهينة بنهضة العرب ووحدتهم، وكان يخشى على العرب من اليأس والوهن الذي يقضي على روح الجهاد في الأمة التي خلقت لقيادة البشرية جمعاء، فهو يقول (٦٨):

« إنّ الله قد رزقكم البصيرة النافذة، ولا تزال فيكم الشرارة كامنة فقوموا أيها العرب (قومة رجل واحد) وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى. إن منبع القوة ومصدرها هو الدين، منه يستمدّ المؤمن العزم والإخلاص واليقين... وما دامت ضمائركم أمينة للسر الإلهي فيا عُمار البادية، أنتم الحراس للدين، وأمناء الله في الأرض..

ويا رجل البادية وسيد الصحراء عد إلى قوتك وعزّتك، وامتلك ناصية الأيام، وخذ عَنان التاريخ، وَقُدْ قافلة البشرية إلى الغاية المثلى».

ويردد محمد عاكف ما قاله محمد إقبال فيقول (٦٩):

يـا أمـة الإســلام..
لا تيأسي وتقولي: لقد انتهى الأمر
أيتها الأمة المستظلّة برحمة الله...
حذار أن تقعي فريسة اليأس..
أيها المسلمون أفيقوا..
سيكون صوت الناقوس مروّعا في الآذان
لم يوقظكم صوت القطارات والبواخر
ولم يُجْدِ هدير المدافع فتيلا في تنبيهكم
أنتم آخر ومضة أمل للإسلام
وعليكم تبعة الأمم المتحضرة..

ويجدد الشعراء ما نادوا به من قبل في ظل الخلافة والجامعة الإسلامية من الدعوة إلى توحيد الصفوف ونبذ الفرقة، فيقول أحمد محرم في رثائه لعمر المختار (٧٠):

هتف النعيّ فما ملكت بيـــاني ليت النعيّ إلى الأنـــام نعـــاني
ذعر (الحطيم) وراع (يثربَ) عاصف للموت ضجّ لهوله (الحرمان)
سهم أصـاب المسلمين وجـال في كبد الهوى وحشـاشة الإيمـان
وارحمتـــا للمسلمين تفـــرّقـــوا وتباعـدوا فـي الأرض بعـد تـدان
من كـان أبصر خطبهم فأنـا الـذي مـــارسته ولمسته ببنـــاني
مـا زلت أجمع بالقـريض شتاتهم حتى انقضى أدبي وضـاع زمـاني

ويقول في نكبة الفرنسيين دمشقَ (٧١):

مـا للسيـاسـة تـؤذينـا وتبعـدنـا عمـا يضمّ قـوانـا حين نقتـرب
أغْرتْ بنا الخُلْفَ حتى اجتاح قوتنا وطـاح بـالشـر مـا تجني وتـرتكب

ويقول الرصافي في مثل ذلك مؤكداً أن الإسلام يوجب نبذ الفرقة التي يحاول المستعمر زرعها بين الصفوف (٧٢):

أتـونس إن في بغـداد قـومـاً تـــرف قلـوبهم لـك بـالـــوداد
ويجمعهم وإيـــاك انتســـاب إلى مـن خصّ منطقهم بضـــاد
ودين أوضحت للنـاس قَبـلا نـــواصع آيـه سبل الـــرشـــاد
فنحن على الحقيقـة أهل قـربى وإن قضت السيـاسـة بـالبعـاد
ومـا ضـرّ البعـادُ إذا تـــدانت أواصـــر مـن لسـان واعتقـاد
وإنّ المسلمين على التـــآخي وإن أغرى الأجـانـب بـالتعـادي

ويـرتفع في الشام صـوت يصـوّر خطـر انقسام الكلمـة وأثـر الحزبيـة التي أفسدت وحدة الصف وأثارت التناحر على الزعامة (٧٣):

ومـــا شكـــواي أو شكـــواك إلاّ لفـــوضى في المجـامع وانقســـام
تـــرى كـــلا لـــه أمـل وسعيٌ ومـــا لاثنيـن حـــولـك من وئام
وأحـــزابـــا إن التأمت فليست تـــدور بهـا الأمـــور على التئـام
لكل جمـاعـــة فينـا إمـام ولكـن الجميع بـــــلا إمـــام
تعـدّدت الـزعـامـة فـاستقلت بهـا زمـر تسيـر بـلا نظـام
فنحن الأقـــويـاء على انفـــراد ونحن الأضعفـــون على انضمـام
ولـولا مـا يـد التفـــريق تجني وتعقب مـن شقـاق وانفصـام
لكـــان ببعض مـن تلقى غَنـاءٌ ومـا تهـوى علـى طـرف الثُمـام

ويقـول محمود غنيم في تصـدع العـرب مقررا أن الـوحـدة الإسلاميـة التي تتـلاقى فيهـا الأرواح هي التي ينبغي أن تجمع شمل الشـرق بما فيـه من عـرب وعجم (٧٤):

ما بال شمل شعـوب الضاد منصدعًا رباه أدرك شعـوب الضـاد رباه
عهد الخلافة في البوسفور قد درست آثـاره.. طيّب الـرحمن مثـواه
إني لأعتبـر الإسـلام جـامعـة للشـرق، لا محضَ دين سنّةُ الله
أرواحنـا تتـلاقى فيـه خـافقـة كـالنحل إذ يتـلاقـى في خـلاياه

حافظ إبراهيم

ومثلما كانت النكبات التي منيت بها كثير من البلاد الإسلامية بعد ضعف الخلافة العثمانية تثير تعاطف هذه البلاد، وتشعر الأمة الإسلامية بوحدة الآلام والآمال، فقد تجدّد هـذا التعاطف والشعور بوحدة المصير في النكبـات التي صبّها الاستعمار الغـاشم على مختلف أقطـار العـالم العـربي والإسلامي، فهـا هو ذا أمير الشعراء أحمـد شوقي يقول في نكبة دمشق (٧٥):

سـلام مـن صبـا بـردى أرق ودمـع لا يكفكف يـــا دمشـق
ومعـذرة اليـراعـة والقـوافي جـلال الـرزء عـن وصف يـدق
وبي ممـا رمتك بـه الليـالي جـراحـات لهـا في القلب عمق
دم الثـوار تعـرفـه فـرنسـا وتعلـم أنـه نـــور وحـق
بني سـوريـة اطـرحـوا الأمـاني وألقـوا عنكم الأحـلام ألقـوا
نصحت ونحـن مختلفـون داراً ولكن كلنـــا في الهـم شـــرق
ويجمعنـــا إذا اختلفت بـــلاد بيـــانٌ غيـــر مختلف ونطـق

ويقول شوقي عندما بويع أميرا للشعراء (٧٦):

ربّ جـار تلفّتت مصـر تـوليـةُ سـؤال الكـريم عن جيـرانـه
قـد قضىٰ الله أن يـؤلفنـا الجرح وأن نلتقي على أشجـانـه
كلمـا أن بـالعـراق جـريحٌ لمس الشـرق جنبـه في عمـانـه

ويقول شاعر النيل حافظ إبراهيم في مثل ذلك(٧٧):

إذا ألمت بـوادي النيل نـازلـة باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا في ثرى الأهـرام ذو ألـم أجـابـه في ذرى لبنـان منتحب

ويقـول عمر أبـو ريشـة في قصيدتـه «جبل النـار» مفصحاً عن المشاركـة الوجدانية بين البلاد العربية وفلسطين (٧٨):

جبلَ النـار لن تنـام كمـا نمتَ جـريحَ العـلا كسيح الطمـاح
لك حب في (قـاسيـونَ) و (صنّيـنَ) و (سينـاء) مـالـه من بـراح
أنت للعـرب كالـمـنارة في السـاحـل لاحـت لأعيـن الـمـلاّح

ويقول الشاعر كمال النجمي في مثل ذلك (٧٩):

إيه فلسطينُ والأيام راكضة ... بنا تقطع قلب الدهر بالخبب
ماذا سفتك يد الأيام من غصص ... أليمة ورماك الدهر من كثب
لما سقطت بكى القرطاس من وله ... عليك وانشق صدر السيف من غضب
يبكي عليك بنو الإسلام من عدن ... إلى الرياض إلى مصر إلى حلب
قد ذاب كل فؤاد حرقة وجوىً ... وانشق كل جماد منك لم يذب
بي منك جرحٌ فتىً خيمت عروبته ... ومسلم حيز منه عرضه وسُبي
ولم أزل كأبي أهفو إليك أسىً ... ويثنني لاعج الشوق نحوك بي
قاسمت فيك الأسى شعري فقاسمني ... حتى وَهَبْتُ وضيح الشعر من لغب

ويقول الشاعر اليمني أحمد الشامي مؤكدا أن استرداد القدس لا يتم إلا بالوحدة الإسلامية التي تجمع المسلمين من السند حتى المغرب العربي(٨٠):

بني العروبة هبّوا من مضاجعكم ... واخشوا إذا ما غفلتم سوء منقلب
لا تتركوا القدس للأغراب والتمسوا ... نصر العروبة في التوحيد والغلب
سيصرخ العرب بالإسلام في أمم ... شتى من السند حتى المغرب العربي

ويعبر الشاعر التركي سليمان نظيف عن ألمه لوقوع العراق في براثن الاحتلال الإنجليزي، فينظم قصيدة بعنوان «أنا ودجلة» يقول فيها (٨١):

إنها لمصيبة حلّت بالأمة الإسلامية
و إنها لمصيبة هائلة . .
إنني أبكي بغداد عاصمة الرشيد . .
سواءٌ كانت على قيد الحياة . .
أو كانت تعاني سكرات الموت . .
. . قل لي يا نهر دجلة . .
أما زلت تسيل متعطفاً بدلال
بينما تتقلب ألماً «بلد الخلفاء»
تحت قهر الأعداء . .
قل لي يا نهر دجلة . .
يا فخر سماء العراق . .
ها هو ذا حداد آخر في ديار الإسلام
غنّ يا دجلة لبغداد أغنية الطفولة . .
فقد كانت الطفلة المدلّلة عند أسودك الأشاوس
ولتسل التاريخ إذا كنت قد نسيت . .
فهي سوف تظل موضع فخرك . .

ثم يعبر الشاعر عن وحدة الوطن الإسلامي في صورة حزينة فيقول (٨٢):

لقد ولدنا جميعا في أفق وطن واحد
منبعك ومهدي توأمان . .
. . ومن هنا انطلق سيل البلاء
ولا أعلم الآن أين سيكون مداه . .
. . كان يضمّ منبعك ومصبّك وطن واحد
ولكنك الآن دخلت في دوامة أخرى
لقد أفعمت قلوبنا بالأحزان
وحطمتها بالبعد والجفاء . .
إن قلبي يكاد يتفطر حزناً
كلما تذكرت أنك لم تخلق ليطأ واديك أجنبي دخيل
والآن لقد تسلم الأغيار أجمل معانيك . .

نظام شامل

وهكذا مضى الأدب الإسلامي المعاصر ينسج مجددا خيوط الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بما أثاره التحدي الاستعماري من وعي الأمة بماضيها المشرق وحاضرها المحزن، وبما هاجت الأحداث والنكبات من مشاعر المسلمين وإدراكهم لضرورة التجمع والتكاتف وتوحيد الصفوف أمام العدو الواحد والمصير الواحد.

فها هو ذا شكيب أرسلان الذي رأيناه من كبار الدعاة إلى الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية يعود من جديد داعية إلى الوحدة الإسلامية، وإن كان مصير الدعوة إلى الجامعة الإسلامية جعله يدعو إلى الوحدة العربية، ويقرر أنها أمر محتوم، مع اعتقادنا الجازم بأنه يدعو إلى هذه الوحدة المصغرة لتكون نواة للوحدة الإسلامية الشاملة، فهو يقول (٨٣):

« فأنتم ترون أن هذا العالم العربي كله ذو منزع واحد، ولغة واحدة، وغاية واحدة، ولهذا فالطبيعة ستسير به قهرا وقسرا إلى الوحدة، وهذه الممالك التي قد مزّقها الأوربيون المستعمرون أجزاء من السنغال إلى الموصل، ستعود مملكة واحدة كما كانت في عهد الخلافة العباسية ».

أما كاتب الإسلام الكبير مصطفى صادق الرافعي فهو يرى أن الوحدة الإسلامية ينبغي أن تبنى على نظام الدول الإسلامية المتحدة فيقول(٨٤):

« ولما كان المسلمون إخوة بنص دينهم، وكانت مبادئهم واحدة ومنافعهم واحدة وكتابهم واحدا فلا جرم كان من السهل ـ لو رجعوا إلى أخلاق دينهم وانتبذوا ما يصدّ عنها ـ أن يؤلفوا من الشرق كله دولا متحدة يحسب لها الغرب حسابا ذا أرقام لا تنتهي ».

ويبقى صوت الشعر دائما أوضح وأصرح من النثر في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فنحن نسمع أبياتا رائعة للرصافي يبين فيها أن الوحدة الإسلامية مبينة على عقيدة التوحيد، وموصولة بحبل الله المتين (٨٥):

قل لمن رام صدعنا بشقاق ... أنت كالوعل ناطح الصفوان
ليس معنى توحيدنا اللة في الملّة إلا اتحادنا في الكيان
وحدة جاءنا من الله فيها ... مرسل بالكتاب والفرقان
فاعتصمنا منها بحبل وثيق ... هو حبل الإخاء والإيمان

ويتردد لدى بعض الشعراء المعاصرين لفظ «العروبة» ولفظ «الشرق» أحيانا على أنها مرادفات للإسلام أو للأمة الإسلامية، وهذا ما يؤكده قول محمود غنيم (٨٦):

هي العروبة لفظ إن نطقت به ... فالشرق والضاد والإسلام معناه

ومن هنا يقول علي الجارم معبرا عن العالم الإسلامي بالشرق في وحدة تحوطها قلوب العرب (٨٧):

صحا الشرق وانجاب الكرى عن عيونه ... وليس لمن رام الكواكب مضجع
توحّد حتى صار قلبا تحوطه ... قلوب من العرب الكرام وأضلع
فليست حدود الأرض تفصل بيننا ... لنا الشرق حدّ والعروبة موقع

ويعبر محمد البزم عن مشاعر الوحدة «التي تربط بين أبناء الوحدة قاطبة، فيستلهم كل حاضرة دورها في رسالة الإسلام وتاريخه، ويؤلف من دورها عقدا جميلا فريدا، تتكامل فيه معاني الوحدة بمضمونها الإسلامي وطاقاتها التاريخية (٨٨): فيقول (٨٩):

جلّق منبت جسمي، وعلى ... دجلة محتد قومي الغابرين
وإلى بغداد مهوى النفس لي ... أنّةٌ تنتابني حينا فحين
وحشاً تهفو إلى أم القرى ... مهبط الوحي، ومهد الراشدين
وفؤاد شُؤْلةٌ في يثرب ... كاهل المجد وأرض الفالحين
وبنجد لا تعدّاها الحيا ... منعة العرب ومثوى المتقين
وعلى البطحاء مجدٌ غابر ... شاخص أخلقه كر السنين
وبصنعاء تخطّاها الأذى ... عزة الليث إذا حال العرين
موئلٌ من حلّ في أرباعه ... في الرزايا كان في حرز مكين

عمر بهاء الدين الأميري

وما لبثت الدعوة إلى الوحدة أن انتقلت من ألسن المفكرين والأدباء إلى الواقع السياسي حين «نادى الملك عبد العزيز بالوحدة الإسلامية، وحض المسلمين على التآزر والتناصر وتوحيد الصف، فدعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي بمكة المكرمة في العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م. ولقد استجاب المسلمون لندائه وتقاطرت وفودهم على مكة المكرمة، فبلغ عدد أعضائه سبعين عضوا من مختلف الأقطار الإسلامية(٩٠).

ويقول الشاعر أحمد الغزاوي في هذا المؤتمر مخاطبا الملك عبد العزيز رحمه الله(٩١):

أجاب بنو الإسلام طُرّاً نداءكم ... لمؤتمر الشورى فكان مجسّما
وخاضوا عُباب البحر كيما يشاهدوا ... حقائق كانت في ذُراهم توهّما
فلما رأوا ما يملأ العين قُرّة ... تولّوا بحمد أفعم القلب والفما
بني العرب (فليهنيكمُ) نصر قيلكم ... فما بعد هذا اليوم إلا (تقدّما)
فلا تتركوها فرصة ذهبية ... فقد حان للآمال أن تتبسّما

وعندما أعلنت الوحدة بين مصر والشام أشفق الأستاذ عمر الأميري أن تنفصم عرى هذه الوحدة ما لم يحمها جيل من الشباب المؤمن القوي، فقال(٩٢):

تغرّق بالقوم حكامها ... وزاغت قلوب غذتها الإحن
وفي وحدة القوم خير وفير ... ومجد جدير بأغلى ثمن
لقد أعلنوها.. ولكنني ... أكاد أرى غير ما قد علن
أريد بناة حماة لها ... إذا قلب الدهر ظهر المجن
فمن لي بإنشاء جيل أبيّ ... تقيٍّ قويّ يصدّ المحن

وسرعان ما انفصمت عرى هذه الوحدة لأنها قامت على القومية العربية دون اعتماد على أساس متين من عقيدة الأمة وشريعتها، وهو ما كان الأستاذ الأميري يدعو إليه في مثل قوله(٩٣):

قالوا: العروبة، قلنا: إنها رحم ... ومـوطن ومروءات ووجدان
أما العقيدة، والهَدْيُ المنير لنا ... دربَ الحياة، فإسلام وقرآن
وشِرعةٌ، قد تآخت في سماحتها ... وعَدْلِها الفذِّ أجناس وألوان

وجاءت دعوة الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي تمهيدا وتأكيدا لضرورة الوحدة الإسلامية، وقد أدرك ـ رحمه الله ـ أن هذا التضامن ضرورة لا بد منها لمواجهة الثالوث الجاثم على صدر الأمة الإسلامية، وهو ثالوث الاستعمار، والشيوعية، والصهيونية.

وفي هذه الدعوة إلى التضامن الإسلامي يقول الدكتور زاهر الألمعي(٩٤):

فيا فيصل الإسلام قدها عزيزة ... كتيّار موج فاض ليس له جزر
دعوت شعوب المسلمين لوحدة ... فأصغت لك الأيام والتفت الدهر
إذا ما اعتلت في الصين صيحة مسلم ... تجاوب في أم القرى البيت والحجر
ودوّت بأرجاء الرباط استجابةٌ ... وهبت لها بغدادُ وانتفضت مصر
وضمّ شعوب المسلمين تضامن ... فعزّ به الإسلام وانهزم الكفر

وهكذا عكف عدد كبير من الشعراء المعاصرين على تأكيد المضمون الإسلامي في الوحدة العربية المرتقبة، فقال الأستاذ صالح جودت(٩٥):

في ملتقاهمُ موعد للوفاقْ ... ومن خِلال العرب صدق الوعودْ
يُهيب بالشام ويدعو العراق ... ويحضِن المغرب وابن السعود
سيروا إلى ميعاده يا رفاق ... وحققوا وحدتكم في الوجود
قد سادنا أعداؤنا في الفراق ... وآن في وحدتنا أن نسود
لوذوا بحبل الله واستعصموا ... بالعروة الوثقى ولمّوا الشتات
وَلْينتظمكمُ مِحور مسلم ... تجري أمانيه بأم اللغات

ويقول الأستاذ عبد الحكيم عابدين في مثل ذلك(٩٦):

وطني الإسلام لا أفدي سواه ... وبنوه أين كانوا إخوتي؟
مصرٌ والشام ونجدٌ وربوه ... مع بغداد جميعا أمّتي

ويقول الأستاذ يوسف القرضاوي في الوحدة الإسلامية الشاملة(٩٧):

يا أخي في الهند أو في المغرب ... أنا منك، أنت مني، أنت بي
لا تسل عن عنصري، عن نسبي ... إنه الإسلام أمي وأبي

إخوة نحن به مؤتلفون

يا أخا الإسلام في كل مكان ... قم نفك القيد قد آن الأوان
واصعد الربوة واهتف بالأذان ... وارفع المصحف دستور الزمان

وامألأ الأفاق: إنا مسلمون

وفي الأدب الإسلامي التركي ردّد الكتاب والشعراء ما كان يقوله محمد عاكف من قبل.. فقد عقدت الكاتبة الروائية سامحة آتي ويردي فصلا في كتابها الذي ألفته سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م بعنوان «من الرق إلى السيادة» ذكرت فيه أن الوحدة العربية لم تحقق شيئا في رأيها، بينما يمكن لاتحاد الدول الإسلامية أن يحقق الكثير، ولا سيما أن العالم الإسلامي غنيّ بموارده، وإمكاناته المادية والبشرية، وإنما ينقصه أن يكون غنيا بإسلامه، فهو طريقه إلى آفاق مشرقة»(٩٨).

ويقول الأستاذ نوري باكديل رئيس تحرير مجلة «أدبيات»(٩٩): إن الثورة الكمالية استهدفت حجب تركيا عن الأمم الشريكة لها في الحضارة الإسلامية فأصبحت كالبعير الشارد، ولم تكن حركة التغريب سوى فقدان للذات، ولكن الآن أجبرتنا الحاجة إلى البترول إلى التواصل مع الدول العربية، ولكن يا للعجب أيكون البترول أقوى من الروابط الأدبية؟.. إن مناجم الأدب أغنى عمقا من آبار البترول، وقد آن لنا أن نوثق العرى مع كل الدول التي تشاركنا في الحضارة الإسلامية، سواء كانت هذه الدول في أفريقية أو الشرق الأوسط أو آسية».

ويتساءل الكاتب «كيف تنشد الدول الإسلامية يومًا للتضامن، وفي يوم الحج ما تنشد؟ إنه اليوم الذي يمكن فيه أن يفهم بعضنا بعضا، وأن نرسم خطا فاصلا لمقاومة الاستعمار بكل أشكاله ولمقاومة الإلحاد».

وهكذا ردّد أحفاد السلطان المظلوم عبد الحميد شعاره المعروف: «يا مسلمي العالم اتحدوا» ونادَوْا بما نادى به من قبل حين قال(١٠٠): «يجب تقوية روابطنا بالمسلمين في كل مكان، وأن يقترب بعضنا من بعض أكثر وأكثر، فلا أمل لنا بهذه الوحدة، ومع أن وقتها لم يحن بعد، لكنه سيأتي، وسيأتي اليوم الذي يتحد فيه جميع المسلمين، وينهضون نهضة رجل واحد».

واستمرت أشعار محمد إقبال تدعو المسلمين إلى الوحدة الشاملة لحماية الإسلام وحماية الحرم الشريف، فهو يقول(١٠١): «فليتّحد المسلمون في العالم من ساحل النيل إلى سفوح كاشغر لحماية الحرم».

وإلى أن يأتي يوم الوحدة الإسلامية في أي صيغة مقبولة فإن نشيد هذه الوحدة الذي ينبغي أن يردده ملايين المسلمين منذ الآن هو النشيد الرائع الذي أبدعه شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال حيث يقول(١٠٢) :

الصين لنا والهند لنا ... والعرب لنا . والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى ... في الدهر صحائف سؤددنا
بنيت في الأرض معابدنا ... والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه ... بحياة الروح ويحفظنا
في ظل السيف تربّينا ... وبنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام شعار المجد لملّتنا
بهلال النصر يضيء لنا ... ويمثل خنجر سطوتنا
وأذان المسلم كان له ... في الغرب صدى من همتنا
قولوا لسماء الكون لقد ... طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر لقد جرّبت على ... نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يغرق ... في الخوف سفينة قوتنا
يا ظل حدائق أندلس ... أنسيت مغاني عشرتنا
وعلى أغصانك أطيار ... صدحت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجلت على ... شطّيك مآثر عزتنا
أمواجك تروي للدنيا ... وتعيد جواهر سيرتنا
يا أرض النور من الحرمين ويا ميلاد شريعتنا
روض الإسلام ودوحته ... في أرضك روّاها دمنا
ومحمدٌ كان أمير الركب يقود الفوز لنصرتنا
إن اسم محمدٍ الهادي ... روح الآمال لنهضتنا
دوّت أنشودة إقبالٍ ... جرسا يحدو فيه الزمنا
ليعيد قوافلنا الأولى ... في المجد ويبعث أمتنا

وأخيرا فلعل خير خاتمة للبحث أن ننهيه بذكر بعض التوصيات التي تدور حول الأدب الإسلامي وأدباء الإسلام، حتى يستمر دور هذا الأدب في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وتنشئة الأجيال على التطلع إليها، والعمل على تحقيقها، والتغلب على المصاعب التي تعترض طريقها.

أ ـ حول الأدب الإسلامي :

١ ـ ضرورة الدعوة إلى الأدب الإسلامي ونشر معالم نظريته تحقيقا لدور الأدب الكبير في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

٢ ـ ترجمة آداب الشعوب الإسلامية من العربية وإليها ؛ تأكيدا لوحدة الآلام والآمال ووحدة المصير المشترك، وتحقيقا للوحدة الفكرية والروحية قبل الوحدة السياسية.

٣ ـ ضرورة الدعوة إلى نشر اللغة العربية وآدابها بين شعوب الأمة الإسلامية ؛ لتعود لغة القرآن اللغة الأولى للمسلمين كما كانت من قبل، ولتكون عاملا مهما في توحيد هذه الشعوب.

٤ ـ دعم رابطة الأدب الإسلامي العالمية دعماً معنوياً ومادياً حتى تستطيع أداء مهمتها في مسيرة الأدب الإسلامي وتحقيق عالميته.

ولعل من المناسب أن نذكر هنا قرار مجلس أمناء الرابطة حول إنشاء وقف إسلامي باسم الرابطة ينفق من ريعه على متطلباتها المادية، التي تتنامى بانتشار مراكز الرابطة وفروعها في أنحاء العالم الإسلامي، وسوف تزيد المتطلبات المادية زيادة ملحوظة بعد إصدار مجلة الأدب الإسلامي.

ب ـ توصيات لأدباء الإسلام :

١ ـ إن واقع الأدب في العالم الإسلامي وواقع الآداب العالمية كلها يحتّمان أن ننقل إلى أدباء الإسلام الشعار الذي أطلقه السلطان عبد الحميد بعبارة مناظرة فنقول :

« **يا أدباء الإسلام اتحدوا** »

٢ ـ إن رابطة الأدب الإسلامي العالمية تدعو سائر الأدباء الملتزمين بالإسلام أن ينضووا تحت لوائها حتى يصبح الأدب الإسلامي رائداً للأمة، كما هو مسئولية أمام الله عز وجل.

٣ ـ إن مسؤولية أدباء الإسلام كتاباً وشعراءَ أن يثبتوا وجودهم في مختلف الساحات الأدبية، المحلية والعالمية، ولن يتم ذلك إلا إذا كان نتاجهم بالغا حدا فائقًا من الإبداع والتجويد الفني.

٤ ـ إن مسؤولية النقاد الإسلاميين أن يقوّموا عطاء الأدب الإسلامي الوفير، وأن يقوموا بالدراسات التنظيرية لهذا النتاج منذ فجر الإسلام حتى اليوم، لتتكامل نظرية الأدب الإسلامي، وتقف في مصاف نظريات الأدب العالمية، بل لتكون البديل عنها إن شاء الله تعالى.

الهوامش

(١) في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الثاني للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) في الكلمة التي ألقاها في ندوة الأدب العربي الحديث في جامعة ممباد في جنوب الهند ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ـ سيد قطب ص ٦٥ وما بعدها ـ نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

(٤) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ـ د. أحمد الشرباصي ص ٩٤ بيروت دار الجيل (بلا تاريخ).

(٥) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ د. محمد محمد حسين ٢/ ٩ ـ بيروت دار الإرشاد ١٣٨.

(٦) المرجع السابق ١/ ١٩.

(٧) المرجع السابق ١/ ٢١.

(٨) شكيب أرسلان للشرباصي ص ١٢٤.

(٩) المسألة الشرقية ـ مصطفى كامل ص ٢٣ ـ القاهرة ـ مطبعة الآداب ١٨٩٨م.

(١٠) الاتجاهات الوطنية ١/ ٢٧.

(١١) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ـ د. عبد العزيز ثنيان العمران ـ الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١٢) ديوان الأمير شكيب أرسلان ص ٩٠ ـ تصحيح محمد رشيد رضا ـ القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

(١٣) شوقي أو صداقة أربعين سنة لشكيب أرسلان ص ٢٥ ـ القاهرة ـ مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

(١٤) ديوانه ص ١٢٩.

(١٥) ديوانه ص ٩٩.

(١٦) ديوان شوقي ـ ١/ ٢٨٢ (طبعة الحوفي) القاهرة دار نهضة مصر ١٩٧٩م

(١٧) ديوان شوقي ١/ ٨١.

(١٨) ديوانه المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ٦٩)

(١٩) ديوان أحمد محرم ٢/ ١٨ ـ القاهرة ـ ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م.

(٢٠) رازم : ثابت قائم على الأرض.

(٢١) ديوان الرصافي ١/ ٤٠٢ بيروت ـ دار العودة ١٩٨٣م

(٢٢) الوحدة الإسلامية (المرجع السابق) ص ٤٢ .
(٢٣) ديوان الخطيب ١/ ٣١ ـ القاهرة دار المعارف ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م .
(٢٤) الشعر في موكب الدعوة ـ د . محمد صادق عبد الحليم محمد ص ٢٢٣ ـ القاهرة مطبعة النهضة العربية ١٩٧٦م .
(٢٥) الأدب التركي الإسلامي ـ د . محمد عبد اللطيف هريدي ـ الرياض ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
(٢٦) الشعر في موكب الدعوة ص ٢٢٤ .
(٢٧) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٢ بتصرف .
(٢٨) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٢ .
(٢٩) مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية ـ عبد اللطيف الجوهري ـ ص ٦٩ ـ القاهرة ـ مكتبة النور ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٦م .
(٣٠) روائع إقبال، «المصدر السابق» ص ١٨ .
(٣١) الوحدة الإسلامية ص ١٤٠ ـ د . عبد العزيز ثنيان العمران ـ الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
(٣٢) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ص ١٨٠ .
(٣٣) صحيفة الشورى، ١٣ آب (أغسطس) ١٩٣٠م
(٣٤) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٢ .
(٣٥) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٣ .
(٣٦) المصدر السابق .
(٣٧) ديوان شوقي ١/ ٣٢٨ .
(٣٨) الوحدة الإسلامية «المصدر السابق» ص ١٤٥ .
(٣٩) سورة الملك فيصل والتضامن الإسلامي ص ١٧١ ـ الرياض ـ مطبعة مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .
(٤٠) سورة الأنبياء ٢١/ ٩٢ .
(٤١) ديوانه المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٠٧)
(٤٢) ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٩٢) .
(٤٣) ديوان حافظ ٣٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .
(٤٤) ديوان الرصافي ٢/ ٣٤١ بيروت دار العودة ١٩٨٣م .
(٤٥) نماذج أدبية ـ د . عبد القدوس أبو صالح ـ (بالاشتراك) ص ٢٤ مكتبة الجامعة العربية ـ حلب .
(٤٦) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ـ د . محمد عادل الهاشمي ص ١٥٥ عمان مكتبة المنار ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
(٤٧) المرجع السابق ص ١٥٦ .
(٤٨) ديوان الزركلي ص ١١٧ بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
(٤٩) ديوان شوقي ١/ ٣٦٧ .
(٥٠) من شعر الجهاد في العصر الحديث ـ د . عبد القدوس أبو صالح (بالاشتراك) ص ١١٧ ـ الرياض منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
(٥١) المصدر السابق ص ١٣٤ .
(٥٢) المصدر السابق ص ١٦٥ .
(٥٣) المصدر السابق ص ٣٢٥ .
(٥٤) من الشعر الإسلامي الحديث ص ١٣٠ ـ عمان ـ دار البشير ـ منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
(٥٥) ديوانه : شموخ في زمن الانكسار ص ١٥ ـ الرياض ـ منشورات مكتبة الأديب ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .
(٥٦) من الشعر الإسلامي الحديث ص ٦٢ .
(٥٧) المرجع السابق ص ٢٣٢ .
(٥٨) المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٥٩) من شعر الجهاد ص ٥١٦ .
(٦٠) ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الاتجاهات الوطنية ٢/ ١٨٩) .
(٦١) أناشيد الدعوة الإسلامية ـ حسني جرار (بالاشتراك) ص ٩٧ ـ عمان ـ نشر دار عمار ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
(٦٢) من شعر الجهاد (المصدر السابق) ص ٣٥٠ .
(٦٣) من ديوانه المخطوط .
(٦٤) شاعر الإسلام محمد عاكف ـ د . عبد السلام فهمي ـ مكة المكرمة ـ نشر مكتبة الطالب الجامعي ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
(٦٥) المجلة العربية ـ العدد الافتتاحي ـ شعبان ١٣٩٥هـ ص ١١٠ .
(٦٦) المصدر السابق .
(٦٧) المصدر السابق .
(٦٨) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي ـ ١١٨ ـ بيروت دار الفتح ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
(٦٩) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٣ وما بعدها بتصرف .
(٧٠) الاتجاهات الوطنية ٢/ ١٦٨ .
(٧١) من ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٩١) .
(٧٢) ديوان الرصافي ٢/ ٤٦٣ .
(٧٣) ديوان الزركلي ص ٣٢٧ .
(٧٤) ديوانه : صرخة في واد ص ٧٨ .
(٧٥) ديوان شوقي ١/ ٣٤٨ .
(٧٦) المصدر السابق ١/ ٥٨٩ .
(٧٧) ديوان حافظ إبراهيم ٢٦٨ .
(٧٨) من شعر الجهاد ص ٢٢١ .
(٧٩) من شعر الجهاد ص ٣١٠ .
(٨٠) من شعر الجهاد ص ٣١٣ .
(٨١) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٣٧ بتصرف .
(٨٢) المصدر السابق .
(٨٣) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ص ٧١ .
(٨٤) مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه ـ د . علي عبد الحليم محمود ـ الرياض ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بلا تاريخ) .
(٨٥) ديوان الرصافي ٢/ ٤٣٧ .
(٨٦) ديوان : صرخة في واد ـ ص ٧٨ .
(٨٧) نماذج أدبية ص ٢٧ .
(٨٨) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ص ١٧٨ .
(٨٩) ديوانه ١/ ٢٦٤ .
(٩٠) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ص ١٩٢ .
(٩١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ٢/ ٦٠٥ للدكتور مسعد العطوي ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
(٩٢) ديوان ألوان طيف للأميري ص ٩٢ .
(٩٣) المصدر السابق ص ٣٧٦ .
(٩٤) من ديوان على درب الجهاد ص ١٧٩ الرياض مطبعة الفرزدق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
(٩٥) مجلة الهلال ـ عدد ديسمبر ص ٣٨ عام ١٩٧٠ .
(٩٦) أناشيد الدعوة ص ٩٧ .
(٩٧) نفس المصدر ص ٢٨ .
(٩٨) الأدب الإسلامي التركي ص ٢٦٣ .
(٩٩) المصدر السابق ص ٢٩٩ .
(١٠٠) مذكرات السلطان عبد الحميد ـ جمع وتقديم محمد حرب عبد الحميد ـ القاهرة ـ دار الأنصار ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م .
(١٠١) المأساة الأخيرة في العالم العربي لأبي الحسن الندوي ص ١٨ ـ لكنو ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .
(١٠٢) أناشيد الدعوة ص ١٧ .

أب يرثي ابنه

د. عدنان علي رضا النحوي

رَحَلْتَ ! وَبِيْ لهْفَةٌ مِنْ حَنينٍ ... وَشَوقٌ إِلى بِرِّكَ الطيِّب
وَغِبْتَ ! وذِكْرُكَ عِطْرُ الدّيار ... وعِطرُ المَرَابِعِ والسَّبْسَب[1]
وَفَوْحُ الشَّبَابِ عَلَى جِدِّهِ ... وفَوْحُ الطّفُولَةِ في الملْعَبِ
وَحَيثُ نَزَلْتَ غَنِيَّ العَطَاءِ ... تَقِيَّ المسَالِكِ والمَذْهَبِ

رَحَلْتَ ! وما زِلْتُ أهْفُو إِلَيْكَ ... حَنِينَ الضُّلُوعِ وشَوْقَ الأَبِ
وَغِبْتَ ! وما زِلْتُ أَرْنُو إِلَيْكَ ... وقَلْبِيْ وَطَرْفِيْ يُلحَّانِ بِي
رَكَضْتَ وَأَسْرَعْتَ ! جُزْتَ المَدَى ... فَيَا لَوِثَابِ الفَتَى الأَنْجَبِ
كَأَنَّك تَعْدُو إِلَى جَنَّةٍ ... يُبَلِّغُهَا اللهُ من يَجْتَبِي
كَأَنَّكَ في حَوْمَةٍ من سِبَاقٍ ... فَجَلَّيْتَ في السَّبْقِ والمَطْلَبِ

رَحَلْتَ، بُنَيَّ، عَلَى حُرْقَةٍ ... وجَمْرٍ هُنَا فِي الحَشَا مُذْهِبِي
عَلَى مُقْلَةٍ قَرَّحَتْهَا الدُّمُوعُ ... تَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِيَ المُلْهَبِ
وحَوْلِيَ أُمُّكَ نَبْعُ الحَنَانِ ... تَصُبُّ الدُّمُوعَ ولَمْ تَصْخَبِ
تَعَضُّ عَلَى شَفَتَيْهَا أَسَىً ... لِتَكْظِم من حُزْنِهَا المُنْصِبِ
فَدَفْقُ الدُّمُوعِ عَزَاءُ الفُؤادِ ... أَلاَ أَطْلِقِي الدَّمْعَ أَو سَرِّبِي[2]
تَهِيجُ بِإِخْوَتِكَ الذِّكْرَيَاتُ ... حَنِينًا إِلى الرَّحِمِ الأَقْرَبِ
وَدَمْعاً يَفِيضُ عَلَى الوَجْنَتَينِ ... فَيَحْبِسُهُ العَزْمُ مِنْ صُلَّبِ[3]
فَيُخْفُونَ مِنْ لَوْعَةٍ في الحَشَا ... يُوَاسُونَ مِنْ أُمِّهِمْ والأَبِ
وصَحْبٍ كَأَنَكَ مِنْ مُهْجَةٍ ... نُزِعَتْ ومِنْ أَكْبُدٍ نُحَّبِ
فَمَاجُوا ! فَمِنْ موكِبٍ مُقْبِلٍ ... كَرِيمٍ يُوَاسِي إِلى مَوْكِبِ

---

(١) السَبْسَب : الفلاة، الأرض البعيدة.
(٢) سَرِّب : أطلق دفعة بعد دفعة.
(٣) صُلَّب : الشديد، القوي.

حَنِينُ الأُمُومَةِ ! شَوْقُ الأُبُوَّ ... ةِ ! فَيْضٌ مِن الحَزَنِ الأَصْعَبِ
يَمُوجُ عَلَى فِطْرَةٍ أُودِعَتْ ... وَ نَبْعٍ مِنَ البِرِّ لم يَنْضَبِ
فَيَمْتَدُّ مِنْ عَالَمٍ ضَيِّقٍ ... إلى عَالَمِ الغَيْبِ والغَيْبِ
فَمَنْ يَسَعُ الحُزْنَ ! هَذَا مَدَاهُ ... مَدَى عَالَمٍ وَاسِعٍ أَرْحَبِ
فَمَا يَسَعُ الحُزْنَ إلاَّ يَقِينٌ ... وَصِدْقٌ مَعَ اللّهِ لَمْ يُكْذَبِ

رَحَلْتَ ! بُنَيَّ إيَادٌ ! وغِبْتَ ... عَلَى لَوْعَةٍ وَأَسىً مُصْحِبِ
إذَا مَا ذَكَرْتُكَ هَاجَتْ دُمُوعِي ... فَأَسْكُبُ مِنْ وَابِلٍ صَيِّبِ
تُنَازِعُنِي النَّفْسُ دَمْعٌ يفِيضُ ... عَلَيْكَ وَصَبْرٌ جَمِيلٌ أَبِي
أعُودُ إلى ذكرِ ربي فأَخشع ... للذِّكْرِ والأَمَلِ الأَرْحَبِ

رَحَلْتَ ! بُنَيَّ إيَادٌ ! وغِبْتَ ... وبِي مِنْ جَوىً هَائِجٍ مُنْصِبِ
فَأَنَّى التفتُّ أرى طَيْفَك الحُلْوَ ... حَولي يُخَاطِبُني يَا أبي
وطَلْعَةُ وَجْهِكَ إشْرَاقَةٌ ... وإقْبَالُ طَيْفِك لَمْ يَغْرُبِ
وبَسْمَةُ وجْهِكَ نُورٌ يَفِيضُ ... عَلَيَّ يَشُقُّ دُجَى الغَيْهَبِ
وَلَهْفَةُ صَوْتِكَ ! كَمْ قَدْ حَنَوتَ ... عَلَى قَلْبِيَ الخَافِقِ المُتْعَبِ[1]
فَيَجْلُو حديثُك صَفْوَ النباهة ... بالأدب المُرهَفِ الأَعْذَبِ
تَضُمُّ جَنَاحَيْكَ حَوْلِي بِبِرٍّ ... نَدِيِّ الشَمَائِلِ والمَوْهِبِ

إيَادٌ ! وكُنْتَ تُجِيبُ النِّدَاءَ ... وتُسْرِعُ رَكْضاً إلَى مَطْلَبِي
فَمَا بَالُكَ اليَوْمَ لا تَسْتَجِيبُ ... وَعَهْدِي بِبِرِّكَ لَمْ يَكْذِبِ
وَكُنْتَ تُجِيبُ نِدَاءَ الصَلاةِ ... فَهَذَا النِّدَاءُ ! فَقُمْ وارْغَبِ[2]
صَدَقْتَ ! أَجَبْتَ نِدَاءً أَجَلَّ ... وَقُمْتَ إلَى مَنْزِلٍ أطْيَبِ
إلى رَحْمَةِ الله ! عُقْبَى التَّقِيِّ ... إذَا جَدَّ في السَّعْيِ والمَذْهَبِ
إلى الله ! إنا له راجعون ... فَمَا مِنْ مُجِيرٍ ولا مُعْقِبِ
إذَا حُمَّ فِينَا قَضَاءُ الإلَه ... فَمَا من سَبِيلٍ إلَى مَهْرَبِ
فَسُبْحَانَ مَنْ قَهَرَ الخَلْقَ فِي ... قَضَاءٍ وسُبْحَانَ مَنْ يَجْتَبِي
إيَادٌ ! حَنَانَيْكَ ! كَيفَ السُّلُوُّ ... وطَيْفُكَ حَوْلِيَ لَمْ يُحْجَبِ

---

(١) إشارة إلى العمليتين الجراحيتين اللتين أُجريتا لي في القلب.
(٢) إشارة إلى أن حادث الوفاة كان قُبيل أذان العصر، وقد تحركت السيارة بنا إلى المستشفى المركزي مع انطلاق أذان العصر من يوم الأربعاء ٢٨/ ٥/ ١٤١٢هـ ٤/ ١٢/ ١٩٩١م.

فَهَـــذَا كِتَـــابُـك ! يَـــا وَيْحَ نَفْسِي ... كَـأَنَّـكَ مَـــــازِلْـتَ فِـي المَكْتَبِ
وهَـــذَا قَمِيصُكَ حُلْـــوُ الشَّـــذَى ... وهَـــذَا الـــرِدَاءُ عَلَـى المِشْجَبِ
وهَـــذَا السَّـــرِيـــر ! كَأَنِّي أَرَاكَ ... فـأُقْبِلُ والشـــوْقُ قَـــدْ هَـــاجَ بِي
أَعُـــودُ وبِي حُـــرقَـــةٌ مِن حَنِينٍ ... إِلَيْـــكَ، إِلـــى وَجْهِـــكَ الطَّيِّـــبِ

ومَكْتَبَـــــةٌ نَسَّقَتْهـــــا يَـــدَاكَ ... عَلَـى فِطْنَـــةِ المَـــاهِـــرِ المُعْجِبِ
أَطُـــوفُ بِهَـــا ورُؤَى الـــذِكْـــرَيـــات ... تَطُـــــوفُ كَـأَنَـكَ لَـمْ تَـــــذْهَبِ
يُـــذَكِّـــرُنِـي كُـلُّ رُكْنٍ بِهَـــا ... حَنَـــــانَ فَتَـىً طَيِّبٍ أَحْـــــدَبِ

وأَقْـــرأُ شِعْـــرِي ونَثْـــرِيَ فَتُصْغِي ... إِلَـيَّ ! فيَـــــــا للفتَى الأَنْجَبِ
وَيَـــا لَبَيَـــانِ الفُـــؤَادِ الـــذَّكِي ... وَيَـــا لَحَصـــافَـــةِ مُسْتَـــوعِبِ
فَـأُصْغِي إِلَـى نَفَحَـــاتٍ غَـــوَالِي ... كَـــواكِبَ مِـن حُسْنِهَـــا ثُقَّبِ

بُنَـيَّ غَـــذَوْتُـكَ صَفْـــوَ اللَّبَـــان ... وَعُلْتُـكَ بِـــالمَنْهَـجِ الأَصْـــوَبِ
كتَـــابٌ مـن الله يُتْلـى ونُـــورٌ ... مِـنَ الحَـقِّ يُجْلـى وهَـــدْيُ النَّبِـي
تُعَـلُّ وتَنْهَـلُ مِـنْ فَيْضِـــه ... غَنِـيَّ السِقَـــايَـــةِ والمَشْـــرَبِ
فَـأَقبِلْ عَلَـى الله ! هَـــذا هُـــو الـــزَّا ... دُ بِـــالصِـــدْقِ والعَمَلِ الطَيِّبِ

إِيـــادٌ ! حَنَـــانَيك ! وَ اللّيلُ سَـــاجٍ ... عَلَـى مَهْجَعٍ بِـــالهُـــدَى مُـــرْغِبِ
فَكَم كَـــان جَنْبُكَ يَجْفُـــو المضـــاجع ... مـن رَهَـــبٍ بِـــــالتُقَـى تَحْتَبِـي
فَتُحْيِـي مِـنَ اللّيـلِ أَجْـــــــزَاءَه ... فَـــرَغْتَ إِلَى الله قُـمْ فَـــانْصَبِ
أَمُـــرُّ فَـــأُصْغِي! وأَمْـــداءُ صـــوتك ... تَنْسَـــابُ بِـــالعَبقِ الأَطْيَبِ
إِذَا مَـــا سَمِعْتَ النِـــدَاءِ أَجَبْتَ ... وَقُمْـتَ إِلَـى مَنْهَـلٍ أَعْـــــذَبِ
نِـــدَاءَ البُكُـــورِ، نِـــدَاءَ الغَـــدَاةِ ... نِـــدَاءَ العَشِيَـــةِ والمَغْـــرِبِ
خُطَـــاكَ تُـــذَكِّـــرُنِي لَهْفَـــةً ... إِلَـى مَسْجِـــدٍ حَـــوْلَنَـــا أَرْحَبِ

بُنَـيَّ ! سَنَـــذْكُـــرُ فِيكَ الشَبَـــابَ ... نَـــدِيًّـــا عَلَى غُصُنٍ مُـــرْطِبِ[1]

---

(١) المُرْطِب : من أَرْطَبَ النَّخْلُ إذا حان أوان رُطبه . إشارة إلى شبابه .

ونَـــوْراً تَفَتَّحَ عِنْـــدَ الصَبَـــاحِ ... وأَغْفَى عَلَى العِطْـــرِ فِي المَغْـــرِبِ
سَنَـــذْكُـــرُ طَلْعَـــةَ وَجْـــهٍ صَبُـــوحٍ ... وإِطْـــــلالَـــــةً مِـنْ فَتَـىً أَهْيَـبِ
فَنَسْكُبُ فَـــوْقَكَ عِطْـــرَ الـــورُودِ ... مُنَـــدّىً عَلَـى الجَـــدَثِ الطَيِّبِ
مِنَ المُـــزْنِ أَوْ مِـنْ حَنِينِ الضُّلـــوعِ ... فَيَـــا مُـــزْنُ صُبِّي هُنَـــا واسْكُبِي
ويـــا قَلْبُ فَـــاسْكُبْ نَـــدِيَّ العُطـــورِ ... حَنِينَ الأُمُـــومَـــةِ شَـــوْقَ الأَبِ
وَنَـــدْعُـــو لَكَ اللـــهَ ! يَـــا رَبِّ فـــامْنَحْ ... بِجُـــودِكَ فَضْـــلاً لَـــهُ أَوْ هَـبِ
وَوَسِّـــعْ لَـــهُ قَبْـــرَهُ رَوْضَـــةً ... ونَـــوِّرْهُ ! نَضِّـــرْهُ أَوْ ثَـــوِّبِ
وغَسِّلْـــهُ بـــالمَـــاءِ والثَلْجِ يَـــا ر ... بِّ ! أَيُّ عِبـــادِكَ لـم يُـــذْنِبِ
وَبَـــدِّلْـــهُ أَهْـــلاً وَدَاراً أَعَـــزَّ ... عَلَـى سَعَـــةِ الـــدَّارِ والمَـــرْحَبِ
وَهَبْـــهُ بِـــرِضْـــوانِك المُـــرْتجَى ... نَعِيمـــاً عَلَى المَـــوردِ الأَعْـــذَبِ
يُـــزَفُّ إِلَى الحُـــورِ فِي جَنَّـــةٍ ... تَـــرِفُّ عَلَيـــهِ وفِي مَـــوكِبِ

أَوَدَّعْـتَ أَمْسِ الفَتَـى « بـــاسِمـــاً » ... رَفِيقَـكَ فِـي الجِـــــدِّ والمَلْعَـبِ[1]
حَنَنْتَ إِلَيْـــهِ ! فَيَـــا لَلْـــوَفـــاءِ ... وَحَـنَّ إِلَيْـكَ فَـــــلاَ تَعْجَـبِ
فَيـــا «بَـــاسِمُ» انهَـضْ لِحَقِّ الـــوَفَـــاءِ ... وَحَـقِّ الإِخـــــــاءِ ! فَقُـمْ رَحِّـبِ
وودَّعْـتَ أَمْسِ «الـــربيعَ» النَّـــدِيَّ ... فَتَـى مَـــرَّ كَـــالطَيْـفِ لَمْ يَنْصَبِ[2]
نُعَـــزِّي بِـــهِ أَهْلَنَـــا والصِّحَـــابِ ... ومـــا نَعْلَـمُ القَـــدَرَ المُخْتَبِـي[3]
كَـــأَنَّكُمُ ضقْتُمُ مـن غـرور الحيـاة ... ومـن ضيقهـــا المُجْـــدبِ
فَـــآثَـــرْتُـمُ سَعَـــةً مِنْ جِنَـــانٍ ... ومِـنْ رَيِّهَـــا الـــدَّافِقِ المُخصِبِ
كَـأَن يَـدَ اللـه تختـار غـرس الجنـان ... ورودًا ونـــور الـــربـي
أَلا لَكُـمُ اللّـــهَ نَـــدْعُـــو وللمُـــؤْ ... مِنِينَ عَلَـى أَمَـلٍ مُـــوعِـبِ[4]
بُنَـيَّ ! يُخَفِّـفُ مِـنْ لَـــوْعَتِـي ... حُنُـــوُّ المُعَـــزِّي حُنُـــوَّ الأَبِ
يَقُـــولُ المُعَـــزُّونَ نِعْـمَ الفَتَـى ... تَقِـيَّ السَجِيَـــــةِ والمَنْقَـبِ
فَيَجْـــزِيهُمُ اللـــهُ خَيْـــرَ الجَـــزاءِ ... بِـأَجْـــرٍ غَنِـيٍّ الـــرِّضَـــا مُعقِبِ

بُنَـــيَّ ! قَضَيْـــتَ وأَنْـــتَ الأَبِـــيُّ ... تُجَـــاهِـــدُ فِي اللّـــهِ لـم تَـــرْهَبِ
حَمَلْـتَ الـــرِسَـــالَـــةَ وَضَّـــاءةً ... غَنِـيَّ العَـــزِيمـــةِ والمَـــوْهِـبِ
سَيَـــرْحَمُـكَ الله ! فـــالله أَرْحَـمُ بـــالعَبْـــدِ مِـنْ أُمِّـــهِ وَالأَبِ

---

(١) «باسم» محمود عثمان : صديقه الذي توفي قبله بأشهر قليلة بحادث سيارة . رحمهما الله رحمة واسعة .
(٢) «ربيع» فتحي : توفي كذلك قبله بأشهر قليلة حين داهمته سيارة قرب منزله رحمهم الله جميعاً .
(٣) أهلنا : فأهله بمنزلة الأهل لنا . (٤) مُوعب : من أوْعب أي جمع .